المبحث الثاني

المنتج الصوتي المُوَلَّد

إذا كنا في المبحثين السابقين قد تناولنا المنتج الصوتي المتناظر كلياً عن طريق الألفاظ المتشاكلة كلياً، أو المنتج الصوتي المتناظر جزئياً عن طريق الألفاظ المتشاكلة في بعض حروفها بطريقة مباشرة، فإننا في هذا المبحث نتناول منتجاً صوتياً لا يعتمد على ما اعتمد عليه المنتجان السابقان بل يعتمد على طبيعة التركيب اللغوي وما يتمخض عنه من نغمة صوتية تعتمد في علوها وانخفاضها على أمرين.

الأول:

النسق التعبيري وطبيعته.

الثاني:

المناخ الدلالي الذي وجد فيه هذا النسق التعبيري.

إذن فهذا المنتج الصوتي يعتمد على أدبية اللغة في النص الأدبي، ومدى قدرة المبدع على استغلال هذه الأنساق اللغوية ليولد منها هذا الصوت الذي يختفي وراء فهم المتلقي للدلالة، ومدى فهمه لهذه الأساليب والفروق الصوتية فيما بينها.

لقد عنينا بالمنتج الصوتي "المولد" ذلك الصوت الذي يتولد من بينة التركيب اللغوي، والسياق هو الذي يكسبه علواً وانخفاضاً تبع حركية الانفعال السائرة في بنية النص وهو ما يطلق عليه مصطلح "التنغيم " الذي له وثيق الصلة باللغة ، فهو في جانب من النص يجليه ويوضحه، ودرجة التنغيم ترتبط "ارتباطاً أساسياً بالتغيرات التي تطرأ على تردد نغمة الأساس أثناء الكلام".[1] ودراسته- نعني التنغيم - "تعد من أدق جوانب الدراسة اللغوية وأكثرها خطورة بسبب تعدد النغمات في البيئة اللغوية أو اللهجية الواحدة وارتباط هذه النغمات بالمواقف النفسية وارتباطها بالثقافة والتراث والمستوى الاجتماعي".[2]

---

١ - سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠ ص: ٢٥٢

١- سمير ستيتية، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة المستنصرية العدد (١٦)، ١٩٨٨، ص: ٢٣٩

إن النص الشعري كما تقول سالي مكليندون:

"يتألف من عدة أنظمة صوتية وصرفية ونحوية وعروضية، وقد ترك اللسانيون لنقاد الأدب ما يدعى بالنظام البلاغي الذي يعد من أهم الأنظمة الشكلية التي تؤلف النص الشعري وتؤسس علاقات مضبوطة بين جميع الأنظمة الأخرى".[1] ويقول دكتور مازن الوعر "وينعكس النص البلاغي في النص المكتوب من خلال أدوات التنقيط وأدوات أسلوبية أخرى، كرتبة الكلمات وانزياح المعنى .... ، أما في النص المنطوق فيتجلى من خلال الوقفة والإشارة والنبرة والنغمة وتواترات الكلام ..... هذه الصفات البلاغية تزول عندما يتحول

---

٢ - انظر

S. McIneden، *Meaning ، Rhetorical Structure ، and Discourse Organization in Myth ، Analyzing Discourse*: Text and Talk، Georgetown University Press، Washington، D.C.، 1982، 284- 305.

الـنص مـن الشـفاهية إلى الكتابيـة، ذلـك أن الوقـف في الكـلام والنـبر، وارتفـاع الصـوت وانخفاضـه، والسـرعة النسـبية فيـه أو القصـدية في التوزيـع، ودرجـات التـنفس في أثنـاء الكـلام ودمج الشكل مع المعنى، ثم دمج الصفات النغمية فيما بينها..... يسمح ببنـاء النظـام البلاغـي في الـنص الشـرعي المنطـوق أضـف إلى ذلـك أن المرء عنـدما يستعمل أسلوبه الشعري يضيف نكهة بلاغية للمتلقي.[1]

إن المنتج الصوتي المولد يوجد بثراء واضح في رحم الأساليب الإنشائية ويتمخض عنها، فالأساليب الإنشائية تعد من أبرز مظاهر اللغة التي تعرب عن حيويتها [2] بأربعة عوامل رئيسية:[3]

---

١ - مـازن الـوعر، نظريـة تحليل الخطـاب، مجلـة الموقـف الأدبـي، مجلـة شـهرية تصـدر عـن اتحـاد الكتـاب العـرب بدمشـق، العـدد (٣٦١)، أيـار ٢٠٠١

٢ - محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١، ص: ٣٤٩

٣ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

أولها: العامل الصوتي .

فمن مقومات التراكيب الإنشائية - خاصة منها الطلبية - "النغمة الصوتية"فهذه لا تنخفض في أخرها لبقاء الكلام في حاجة إلى جواب بالقول أو استجابة بالفعل أو تعليق أو ما من شأنه أن يجعل الكلام منفتحا غير منغلق، وهذا الكم الصوتي وهذه النغمة تعلو وتنخفض كما ذكرنا تبع لموقف المعيش والسياق الدلالي المزروع فيه هذه الجمل الإنشائية، وعلى المتلقي أن يجتهد في تحديد حدة هذا الصوت أو هدوئه.

ثانياً: العامل البلاغي.

فمن مقومات هذه الأساليب في ظاهرها الترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقررات العقلية، فهي تعكس أزمة الشعور وحيرة العقل أكثر من حقيقة العلم وصادق الرأي.

ثالثاً:العامل النفسي المنطقي.

وأما العامل الأخير:

فهو العامل النحوي أو الصرفي .

فهذه الأساليب تنبني بقيام حوار وقد تفضي إليه وقد لا تفضي إليه؛ بحسب ذلك تتلون معانيها ودلالاتها. ولا شك أن هذين العاملين الأول والثاني ، ونعني بهما العاملين "المعنوي البلاغي والصوتي" يساهمان بدور فعال في ثراء العامل الصوتي المولد من هذه الأساليب، فالتراكيب الإنشائية ترتكز على أدوات خاصة،كالأداة في الاستفهام أو القسم، أو صيغ معينة "كصيغة "الأمر" أو صيغة "ما أفعله" أو "أفعل به" في التعجب، و هذه العناصر تساهم بأكبر قسط في تحديد مدلولها.

إن هذا الصوت المتولد من التراكيب الإنشائية ليس على وتيرة واحدة، بل وجدناه شديداً قوياً، كما وجدناه هادئاً، وبين هذين المستويين يتنوع في بنية النص، ويشير "ابن جني" إلى هذا

التنوع النغمي عندما عرض لكلام العرب[1] "سير عليه ليل" بقوله " وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة والتطريح (التطويل) والتضخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله "طويل" أو نحو ذلك. وأنت تحس ذلك من نفسك إذا تأملته وذلك أنك تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان واللّه رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ "واللّه" وتتمكن من تمطيط "اللام" وإطالة الصوت بها وعليها، أيّ: رجلاً فاضلاً

---

١ - طالع: عبد الكريم مجاهد، مقال: الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني ، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد (٢٦)، ١٩٨٢،ص: ٧٠ وما بعدها .

أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه "إنسانا" وتمكن الصوت بـ "إنسان" وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذمتته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً ! وتزري وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو إنساناً "لحزاً "(ضيق الخلق) أو نحو ذلك.

والتنغيم – إذن - "تغييرات موسيقية تتناوب من صعود إلى هبوط أو انخفاض إلى ارتفاع تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا من رضا وغضب ويأس وأمل وتأثر ولا مبالاة وإعجاب واستفهام وشك ويقين ونفي أو إثبات، فنستعين بهذا التغير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين

الجمل، فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات.[1]

وهذا ما التفت إليه الدكتور سمير ستيتيه حين قال "قد تكون النغمة نغمة تفاؤل ويسميها بعضهم النغمة الوجدانية، وقد تكون تشكك أو ضجر أو يأس أو استسلام، أو غير ذلك مما له علاقة بسيكولوجية المتكلم.[2] ويذكر سمير ستيتيه [3] بعض النماذج ويقول بعدها "إن للتنغيم أنواعا من النغمات الصوتية، فقد يكون صاعداً كما في الاستفهام والتعجب أو التحذير، كقول الشاعر:

أخَاك أَخَاك إنَّ مَنْ لا أخَ لَه

كَسَاعٍ إلى الهَيْجَاءِ بغَيْرِ سِلاحِ

١- عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، الدار البيضاء، د/ت ص: ١٧٨

٢ - سمير ستيتية، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، ص: ٢٦٥

٣ - المرجع نفسه، ص: ٢٦٦

وقد يكون التنغيم مستوياً أو هادئاً أو يتراوح بين الهبوط والصعود ، كما في بعض الجمل ، كالجمل الخبرية والاستفهامية".[1]

لذا فقد كان تناولنا لهذا المنتج الصوتي ممثلا في هذين المستويين :

أولاً:

المستوى الحاد المرتفع وفيه تعلو النغمة المتولدة من وراء التركيب اللغوي وقد وجدناه أشد ما يوجد، في إطار الهجاء، ولنتأمل النماذج التالية التي يهجو فيها الفرزدق جريراً :

أَرونِي مَن يَقوم لَكم مَقامِي

إذا ما الأمرُ جَلَّى عَنْ العِتَابِ[2]

تَشَمَّسْ يا ابنَ حِرَّى وارتع

---

١ - يوسف عبد الله الجوارنة، التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الأدب ، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد:٣٦٩، كانون الثاني، ٢٠٠٢ م

٢- ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها - إليا الحاوي دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣، ص: ١٥٩/١

فَمثْلُـك لا يُقَـادُ إلـى الرِّهـانِ[1]

فَـرمْ بِيَـدَكَ هَـلْ تَسْـتَطِيع نَقْـلاً

جبـالاً مـن تِـهَامَةَ رَاسيـاتِ

وَأَبصِـرْ كيـف تَنْبُـو بالأَعَـادي

منَاكِبُها إذا قَرَعَتْ صِفَاتِي[2]

إن هذا التحدي الذي يجسده الشاعر في النماذج السابقة ليخرج في إطار صوتي عالي النبرة:

-أمروني من يقوم لكم مقامي:

أداء صوتي مرتفع، يتناسب مع مقام التحدي، فليس من تحدٍ يرافقه ضعف في الصوت.

- في النموذج الثالث:

= فرم بيديك هل تستطيع نقلاً جبالاً ...

---

١ - المرجع نفسه، ص: ٦١٩/٢، حرى: نهشل بن حرى النهشلي.

٢ - المرجع نفسه، ص: ١٨٢/١

= وأبصر كيف .....

أمر مرتفع النغم ارتفاعا يتناسب مع هذه الدعوة بنقل جبال تهامة الراسيات، إن كان هذا في استطاعة الأخر حتى ينال من مجدهم وتاريخهم، إن الأداء الصوتي يطرح عجزاً وانهزاماً على الآخر، كما يطرح قوة وعظمة عند البث.

- أما في النموذج الثاني :

= تَشمَّس يا ابن حرى :...

ومع أن النموذج السابق في هجاء الآخر واستهزائه، إلا أن المنتج الصوتي هادئ النغمة، فهذا الآخر ليس محلاً لارتفاع الصوت، إنه لا يستحق ذلك، إذ هو ليس من أهل الرهان، إنه من أهل الخذلان، يرتع كما ترتع القلة والصغار.

بـــان لنـــا إذن كيـــف يـــنخفض الأداء الصـــوتي مـــن التركيـــب اللغـــوي الإنشـــائي علـــواً وانخفاضـــاً، تبـــع حركيـــة الدلالية المطروحة.

من المنتج الصوتي المرتفع أيضاً قول الشاعر هاجياً :

واسْأل بِنا وبِكُم إذا ورَدَتْ مِنِّى

أطـــرافَ كـــل قبيـــلةٍ مَـــنْ يَسْـــمعُ

وَأَبصِـرْ كيـف تَنْبُـو بالأَعَـادي

عَـنْ كُـلِّ مكَـْرمَـةٍ لِخِنْـدفَ يَـدْفَعُ (١)

لنتأمل في البيت الأخير "صوتي وصوتك" لنجد هذا التوافق بين المنتج الصوتي المتولد وبين ما يطرحه الشاعر صريحاً من علو وارتفاع صوته عزة ومجداً وانخفاض صوت الآخر مذلة وانكساراً.

١- ديوان الفرزدق، ص: ٧٨/٢

ومن الأداء الصوتي المرتفع النغمة الذي يتولد من رحم الأساليب الإنشائية، قوله تعالى:(*ز)

﴿"يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى:

﴿.... ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣)

(*ز) - منهجنا السابق لا يمكن أن يقرأ به القرآن الكريم، وما ورد منه خلال التطبيق كان ا الغرض منه بيان المنهج الصوتي المولد " أو التنغيم " باعتبار هذه الآيات شواهد على هذه الظاهرة.

١ - سورة الرحمن الآية: ٣٣

٢ - سورة البقرة الآية : ٢٣

٣ - سورة فصلت من الآية : ٤٠

وقوله تعالى:

﴿.... قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1]

وقوله تعالى:

﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [2]

وقوله تعالى:

﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [3]

وقوله تعالى:

﴿..... كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [4]

وحين تأمل الصيغ التالية في إطار الدلالة العامة التي زرعت فيها على النحو التالي :

---

١ - سورة إبراهيم من الآية: ٣٠

٢ - سورة الدخان الآية: ٤٩

٣- سورة الإسراء الآية : ٥٠

٤ - سورة الأعراف من الآية :١٦٦

"فانفذوا ":

تحد للإنس والجن بعدم النفاذ من أقطار السماوات والأرض .

"فأتوا- اُدْعوا" :

تحد للمعاندين أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن.

نجد أنه في مثل هذا الجو الدلالي،جو التحدي يتولد المنتج الصوتي عالي النغمة ،يتماشى مع ثراء الدلالة ونموها نحو ثبات القدرة والغلبة للحق سبحانه وتعالى، وإلصاق الذلة والهزيمة والانحسار لهؤلاء المعاندين العاصين، وتظل التراكيب الإنشائية كذلك تولد منتجاً صوتياً عالياً في :

اعملوا ما شئتم.

- تمتعوا.

ذق.

- كونوا حجارة.

كونوا قردة.

حيث التهديد والإهانة والذلة، وهو مناخ طبيعي لتوليد صوتٍ عالٍ يتماشى مع إثبات القدرة والعظمة والتحدي.

ومن ذلك أيضاً قول المتنبي :

عِـشْ عَزيـزاً أو مُـتْ وأنْـت كَـريِّم

بـيْنَ طَعْـنِ القَنَـا وخَفْـقِ البنُـودِ[1]

إن المتنبي الذي عرف بالإباء وتجسيد الذاتية ، حينما يطرح هذا الأسلوب لا يطرحه إلا والأداء النغمي الصوتي عالياً يتناسب مع:

- العزة.
- الكرامة.
- طعن القنا.
- خفق البنود .

---

١ - ديوان المتنبي، شرح البرقوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص: ٣٢/٢.

وكلها ألفاظ محملة بالقوة والجلبة ، فإما حياة عزيزة وإما موت كموت الكرام في غمار الحرب، وهذا وذاك لا يكون إلا بصوت قوي عالٍ، لذا يردفه بقوله:

فاطْلُبِ الْعِزَّ في لَظَى وذَرِ الذُّلَ

ولو كان في جِنانِ الخُلُودِ

وليس لمثل هذه الصيغ التركيبة المحملة بمثل هذه المعاني التي تتطلب القوة والإباء إلا ارتفاع صوتي أدائي، ويأتي قوله في نفس القصيدة مؤكداً هذا الارتفاع الصوتي حين يقول :

أنا تِرْبُ النَّدى وربُّ القَوافي

وسِمَامُ العِدَا وغَيْظُ الحسُودِ

أنا في أمَّةٍ تَدارَكَها اللَّـ

ـه غَرِيباً كَصالحٍ في ثَمُودِ

وكذا قول جرير مخاطباً غيره :

مُوتــوا مــن الغــيظ غَمــاً فــي جَزيــرتِكُم

لن تَقْطعوا بَطْنَ وادٍ دُونَه مُضَرُ [1]

ومـن الأسـاليب الـتي تثـرى بهـذا المنـتج الصـوتي المولـد، قـول الحطيئة :

دعِ المكَـــارِمَ لا تَرْحَـــل لِبُغْيَتِهَـــا

واقْعُـد فإنـك أن الطَّـاعِمُ الكاسِـي[2]

وقول الآخر:

فـدعِ الوعيـدَ فمـا وعيـدُكَ ضـائِري

أَطَنَـينُ أجنحـةِ الـذِّبابِ يَضـيرُ [3]

---

١ - أحمد مطلوب، أساليب بلاغية " الفصاحة والبلاغة والمعاني،" بيروت لبنان، ١٩٨٠، ص: ١١٥

٢ - المرجع نفسه، ص: ١١٨

٣ - المرجع نفسه، ص: ١٢١

وقول الفرزدق :

فَـرُم بِيَـدَيْك هـل تسـتطيعُ نَقـلاً

جِبـــالاً مِـــن تِهامـــةَ رَاسِـــياتِ [1]

وهـــل يســـتطيعُ أبكـــمُ بـــاهليٌ

زحـــامَ الهاديـــاتِ مـــن القُـــرُومِ[2]

إلـــى مَـــنْ تَفْزَعُـــون إذا حثَـــوْتُم

بِأَيْـــدِكُم علـــىً مـــن التَّـــرابِ [3]

مَـنْ يُبلِـغ الخِنْزيـرَ عنـي رسـالةً

نعيمَ بن صفْوان خَليـعَ بنـي سَعْدِ[4]

أَبَـا هِـلَ أيـن مَنْجَـاكُم إذا مـا

مَلأنـــا بـــالملوكِ وبالقِبَـــابِ [5]

وأيـن منُاخـي بعـدِكم إذْ نبَـوْتُم

علـىً وهـل تَنْبـو ظبِـاتُ الصَّـوَارمِ [6]

---

١ - ديوان الفرزدق، ص: ١٨٢/١

٢ - المرجع نفسه، ص: ٤١٧/٢

٣ -المرجع نفسه، ص: ١٥٩/١.

٤ - المرجع نفسه، ص: ٢٩١/١.

٥ - المرجع نفسه، ص: ٥٨/١.

٦ - المرجع نفسه، ص: ٥١٤/٢.

بـأيِّ أبٍ يـا ابـن المراغـةِ تبْتَغـي

راهـاني إلـى غايـاتِ عَمِّـي وخَاليَـا[1]

إليْـك ابـنَ عبـد الله أسْـنَفْتُ ناقـةً

وقد أقْلَقَ النِّسْعَيْن للبطنِ ضامِرُه[2]

إليكَ بِنْ خيْر النـاسِ حمَّلتُ حَاجَتي

عَلى ضُمَّر كَلفن عَرضَ السَّنائفِ [3]

ومن المنتج الصوتي المولّد هادئ النغمة، أو منخفضها عما سبق، قوله تعالى على لسان المؤمنين:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا ﴾[4]

وقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ...﴾ [5]

---

١ - المرجع نفسه، ص: ٦٤٣/٢.

٢ - المرجع نفسه، ص: ٥٢١/١.

٣ - المرجع نفسه، ص:٩٧/٢، وأسنفت : شددت الحزام .

٤ - سورة البقرة : الآية ٢٨٦.

٥ - سورة آل عمران: ٨.

وقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى:

"قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ".[1]

ففي الآيات السابقة يصدر التركيب الإنشائي في إطار الدعاء الراجي،والمتأمل عدم المؤاخذة في النسيان والدعاء بعدم تحميلهم عبئاً ثقيلاً لا قدرة لهم على القيام به، وعدم زوغ القلوب بعد هدايتها.

في مثل هذه التراكيب يصدر الصوت المولد فيها هادئاً منخفضاً، يناسب المخاطَب سبحانه وتعالى وكذا في آية "طه" في خطاب هارون لأخيه موسى، يتولد الصوت أيضاً منخفضاً غير عال، لأنه في مجال الالتماس، والالتماس يتطلب هدواً في الطلب، من ذلك قوله تعالى:

"أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ " [2]

---

١ - طه: ٩٤.

٢ - النور: ٢٢.

وقوله تعالى:

"وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١" [١]

وقوله تعالى في خطاب الحق سبحانه وتعالى لعيسى بن مريم:

"ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ"،[٢]

وفي سؤال الحق- وهو أعلم- موسى عليه السلام:

"وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧"،[٣]

وقوله تعالى على لسان أهل الشرك يوم القيامة:

"فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ".[٤]

---

١ - الشعراء: ١٠، ١١.

٢ - المائدة: ١١٦.

٣ - طه: ١٧.

٤ - الأعراف: ٥٣.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر ابن زيدون مخاطباً ولادة بنت المستكفي:

دُومي على العَهْد ما دمنا مُحَافظة

فـالحرُّ مـن دانَ إنصـافاً كَمـا دِنَيـا [1]

وقوله أيضاً:

ويـا نسـيمَ الصَّـبَا بلِّـغْ تَحيَّـتَنا

مَنْ لَو على البُعْدِ حَياً كان يُحْيِيَنا [2]

فأسلوب الأمر في البيتين السابقين يولدان صوتاً أدائياً هادئاً منخفضاً، ففي البيت الأول يلتمس ابن زيدون في إطار التلطف أن تدوم ولادة على عهدها معه، تحافظ عليه، هذا من شأن الأحرار، فليس هناك من تصور أن يصدر مثل هذا التركيب في وعاءٍ صوتي عالي النغمة. وكذا في بيته الثاني في خطابه

١- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية " الفصاحة والبلاغة والمعاني" ص: ١١٢.

٢ - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

للنسيم، حين يتمنى منه أن يبلغ تحيته لحبيبته التي بعد عنها، والأمر إذن في هذا الجو العاطفي، في هذا الجو من الحرمان لا يكون إلا في إطار صوتي هادئ منخفض.

وفي مثل هذا الجو من التمني يكون المنتج الصوتي المولد هادئاً منخفضاً.

في مثل قول عنترة:

يا دارَ عبلة بالجِواءِ تَكَلَّمي

وعِمِي صباحاً دارَ عبلةَ واسْلَمِي[1]

قول امرئ القيس:

ألا أيها اللَّيْلُ الطويلُ ألا انجلي

بصبحٍ وما الإصْبَاحُ منك بأمْثَلِ[2]

---

١ - المرجع نفسه، ص: ١١٢

٢ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وقول المعري:

فيا موتُ زُرْ إن الحياة ذَميمَةٌ

ويا نفسُ جُدِّي إنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ [1]

وقول الفرزدق:

وإن جَشَأَتْ نَفْسي أقولُ لها ارْجِعي

وراءك واسْتَحْيي بَيَاضَ اللَّهَازِمِ [2]

ويقول الفرزدق، مادحاً راجياً؛ والراجي يصدر صوته هادئاً منخفضاً:

كُنْ مثل يوسفَ لما كَادَ أخْوتُهُ

سلَّ الضَّغَائنَ حتى ماتَتْ الحِقَدُ [3]

من خلال هذه الأساليب، وفي مثل هذا الجو من التوبة والندم والرجوع والإنابة يخشع الصَّوْتُ المنتج من وراء هذا الأسلوب الإنشائي، يقول الشاعر مخاطباً إبليس:

---

١ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

٢ - ديوان الفرزدق، ص: ٥٥٧/٢

٣ - المرجع نفسه، ص: ٢٣٧/١

أَلْم تَرَني عاهدتُ ربي وإنني

لَبَـين رِتَـاجٍ قائـمٍ ومَقَـامِ

علىَّ قَسَمٌ لا أشتمُ الدهْر مشلماً

و لاخارجاً مِن فِيَّ سُوءَ كلامِ

ألـمْ تَرنـي والشـعرُ أصبـحَ بيننـا

دَروءا مـن الإسـلامِ ذاتُ حَـوامِ

تَويـةُ عـبْدٍ قَـدْ أنـابَ فُـؤادُهُ

وما كانَ يُعْطِي النَّاسَ غَيْر ظَلامِ

.....

.....

أطعْتَـك يـا إبلـيسُ سـبعينَ حِجَّـةً

فلمـا انتهـي شيْـبي وتَـمَّ تَمَـامِي

فـررتُ إلـى ربِّـي وأيقنْـتُ أنـّني

مُـلاقٍ لأيـامِ المَـئُونِ حِـمَامِي [1]

---

١ - المرجع نفسه، ص: ٤٠٥/٢

وبعد فالاهتمام بهذا الجانب الصوتي في بنية اللغة، الذي يتمثل في "التنغيم، " يلعب دوراً رئيسياً في بيان خصائص بعض الأساليب، يقول يوسف عبد اللّٰه الجوارنه"والتنغيم هو الذي يبرز خصائص بعض الأساليب والتراكيب التي تكون محذوفة بعض عناصرها، فمثلاً هناك بعض التراكيب التي تحتوي على أدوات الاستفهام وليست استفهامية، وتلك التي لا تحتويها والسياق يشير إلى الاستفهام فيها، فمثال الأول قوله تعالى:

"هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا "[1]

حيث حرف الاستفهام "هل" لا يشترط الاستفهام، لأن الدلالة عن طريق "التنغيم" تقتضي التقرير ويكون حرف "هل" بمعنى"قد"[2]

* * *

---

١ - سورة الإنسان :من الآية ١.

٢ - يوسف عبد الله الجوارنة، التنغيم ودلالته في العربية، مرجع سابق.